قواعد وضوابط وفوائد ترفع الهمم

من كتاب

مرحبا يا طالب العلم

لفضيلة الشيخ الدكتور

أحمد بن عمر سالم بازمول

حفظه الله تعالى

اللـــقـــــــــاء الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد :

فلازلنا في مدارسةٍ لكتاب شيخنا الإمام ربيع بن هادي عمير المدخلي – حفظه الله تعالى – مرحبا يا طالب العلم ، وقد انتهينا بفضل الله - عز وجل - من مدارسة الرسالتين السابقتين والتي كانت بعنوان وهي الرسالة الأولى : شرف الطالب وكمال زينته بمعرفة فضل العلم وعظيم أهميته ، ثم مدارسة الرسالة الثانية والتي كانت بعنوان : فضل العلم والعلماء ، كما كان بالأمس وقد انتهينا منها -بحمد لله تعالى- ، والليلة - بإذن الله تعالى - نتدارس الرسالة الثالثة

فضل العلم النافع

أقول - بارك الله فيكم - : الشيخ في هذا العنوان يُلفِت الأنظار إلى أن العلم منه ما هو نافع لصاحبه ، ومنه ما ليس بنافع .

ما هو نافع لصاحبه باختصار ؛ هو العلم بالكتاب والسنّة على منهج السلف الصالح مع العمل به ، والدعوة إليه ، والصبر في الدعوة إليه ،

وأما العلم الذي لا ينفع صاحبه ؛ فهو إما لكونه لا يعمل به ، أو يعمل بخلافه ، أو أن يكون ذات العلم ضار ؛ كعلم السحر ، أو علم النجوم المحرَّم تعلُّمه ؛ لأن علم النجوم على نوعين :

نوعٌ يجوز تعلمه : وهو الذي يستدل به على الطرق ، ومعرفة الجهات للقبلة والسفر .

ونوعٌ محرَّم تعلمه : وهو الذي يُدرس ليُتوصَل به إلى معرفةِ أحوال الأشياء ونحو ذلك من الأمور المنهي عنها .

فهذا من الشيخ في العنوان فائدة عظيمة ؛ تنبيه أن العلم ليس كل من تلقّاه انتفع به حتى يحقق نوعه ؛ وهو الكتاب والسنّة وما كان عليه سلف الأمة ، وحتى يعمل به ويطبقه ؛ لأن المقصود من العلم كما سيأتينا – إن شاء الله – أن تعبد الله على بصيرة ، وأن تعمل به .

- **من الفوائد** :

التي ذكرها شيخنا – حفظه الله تعالى – في هذه الرسالة :

أن الخيرية للأمة الإسلامية تكون عن طريق العلم بالكتاب والسنّة وما كان عليه سلف الأمة ؛ فهذا هو طريقها .

- **ومن الفوائد** :

أن على طالب العلم الاتباع لمنهج السلف الصالح وجوبًا ، ويحرم عليه الابتداع واتباع الهوى .

- ومن الفوائد :

أن مجرد حمل العلم لا ينفع صاحبه حتى يكون عملًا على مراد ربنا - سبحانه وتعالى - ؛ أي كتابًا وسنّةً على منهج السلف الصالح – رضوان الله عليهم - .

- ومن الفوائد :

معرفة أن العلم أساس للأقوال والأعمال ، فعلى العبد إذا تكلم أن يتكلم بعلم ، وإذا عمل أن يعمل بعلم أو يسكت ، قال - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) (1)

- ومن الفوائد :

أنّ المؤمن العالم يتحلى بالأدب العالي بأن لا يقول إلا خيرًا ، فإذا لم يجد مجالًا لكلمة الحق فعليه أن يصمت ، ولا يتكلم بالفحش ، ولا يتكلم بالباطل ، لا يتكلم بالغيبة ، ولا بالنميمة ، ولا بالإشاعات الظالمة الفاسدة .

- ومن الفوائد :

أنّ العلم ليس المقصود منه مجرد الدراسة ، وحمل الشهادات ؛ إنما المقصود بالعلم الفقهَ فيه ؛ فقه العقائد ، والعبادات ، وكل ما يتعلق بحياة المؤمن مع العمل على منهج السلف الصالح – رضوان الله عليهم

([1]) رواه البخاري ومسلم .

- ؛ إذ المقصود من العلم طاعة الله - تبارك وتعالى - وطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم - ، وتصديق أخبار الله .

- **ومن الفوائد** :

أنّ من احترام العلم الرحلة إلى أهله ، فقد كان الصحابة – رضوان الله عليهم – يرحلون لسماع وطلب الحديث الواحد ، وكذا كان السلف الصالح من التابعين فمن بعدهم يرحلون لسماع الأحاديث ؛ حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فالرحلة إلى العلم وطلب الحديث من احترام العلم .

- **لمـــــــــــاذا ؟**

الجواب : لأنهم عرفوا قدر العلم ، وعرفوا منزلة العلم ، وعرفوا شرف العلم في الدنيا والآخرة ، وأن الله يرفع أهله درجات .

- **ومن الفوائد** :

أنّ الله لم يأمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – بالزيادة من الشيء من أمور الدنيا ؛ إنما أمره أن يطلب المزيد من العلم ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (2) فلم يقل زدني مالًا ، ولا دنيا ، ولا سلطانًا ؛ وهذا دليل على شرف العلم .

([2]) سورة طه [الآية : 114]

- **ومن الفوائد** :

← **وهي فائدة مهمة** :

أن طالب العلم عليه أن يطلب العلم ويتعلم ، ويبحث ، ويدرس طيلة حياته كما قيل : " **من المهد** " – يعني من الولادة – **إلى اللحد** " ، فلا يرى نفسه في يوم من الأيام أنه عالم ، وأنه مستغني عن طلب العلم ؛ ولذلك كان السلف يقولون : " **من قال أنا عالم ؛ فهو جاهل** " .

أقول : هذه الفائدة التي ذكرها شيخنا – حفظه الله تعالى – مفيدة لنا ؛ لأن بعض طلاب العلم وطالبات العلم قد يحفظون بعض المتون ، ويقرؤون بعض الكتب ثم يتصدّرون للتدريس ، ويظنون أنفسهم أنهم أصبحوا علماء ليسوا بحاجة للرجوع للعلماء والاستفادة منهم ؛ وهذا خطأ ، ولقد رأينا مشايخنا – حفظهم الله تعالى – كان الواحد منهم إذا لقي أخاه العالم أو لقي من هو أعلم منه استفاد منه ، وباحثه ، ودارسه وإن كان عالمًا ، ولقد كان شيخنا يحيى بن عثمان المدرِّس – حفظه الله تعالى - كان يحضر دروس العلم ، ثم كان يدرِّس إخوانه وتلاميذه في الأوقات الأخرى ، مع كونه مدرِّسًا معلِّمًا ، لم يمنعه ذلك من مواصلة العلم ؛ ولذلك كثر عندنا المتعالمون ؛ وهم الذين تعلَّموا شيئًا من العلم ثم أصبحوا علماء وهم لم يتأهلوا علميًا ، فنتج عن ذلك كثرة التخبُّطات ، وكثرة الأخطاء في المسائل العلمية ، فيقولون جهلًا ، ويُفتون جهلًا إلا من رحم الله ؛ فلذلك – بارك الله فيكم –

← فأنا أقول لكم وأقول لنفسي :

إنّ هذه الفائدة دقيقة وجليلة وهي باختصار كما سبق ؛ أن نستمر في طلب العلم عن طريق قراءة الكتب ، وعن طريق حضور مجالس العلماء إذا توفرت لدينا ، وعن طريق السماع لشروحهم ، وعن طريق سؤالهم والرجوع لهم ، فلا تظن يا طالب العلم ولو كثرت محفوظاتك ولو كثر علمُك أنك أصبحت عالمًا ولست بحاجة إلى الزيادة في العلم ، هذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول الله له : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ .

- ومن الفوائد :

التي بيّن الشيخ أيضًا أنّ العلم يحتاج إليه الناس أشدُّ من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، وهذا أيضًا جاء نحوه عن الإمام " أحمد " – رحمه الله تعالى – ؛ أنّ العلم يُحتاج إليه أكثر من الطعام والشراب .

- ومن الفوائد :

أنّ الفقه الذي امتدحه الشرع هو الموصِل للعبد بأن لا يأمن على نفسه ؛ لأنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ؛ يعني أنّ الفقه الذي يُؤدي بصاحبه إلى الخشية ، وإلى الحذر ، وإلى الخوف من الله – عز وجل – ومراقبته ؛ هذا هو الفقه المطلوب ، وليس الفقه معرفة الأحكام الفرعية ، ومعرفة بعض العلوم مع المحفوظات ويظن صاحبها أنه قد بلغ من العلم شيئًا كثيرًا ، فيتفاخر ويتعالى على الناس ؛ هذا جهل

، هذا تخبط ، هذا تعالم ، العلم يقود صاحبه إلى الخشية ، إلى استصغار نفسه أمام الله – عز وجل – ، إلى الخوف من الله ، إلى مراقبة الله – عز وجل – ؛ فلذلك يقول الشيخ : " **هذا والله هو الفقه ؛ أن لا يأمن الإنسان على نفسه ؛ لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم** ."

- **ومن الفوائد** :

أن الواحد منا عليه أن يحفظ قلبه ، وعقله ، وعلمه ، وأن يحرس هذه الأشياء حراسةً شديدة ، أشدّ مما يحرس ماله وعرضه ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾(3) ، فالفقه أن لا يأمن الإنسان على نفسه .

- **ومن الفوائد** :

التي ذكرها شيخنا – حفظه الله تعالى – :

أن حفظ الحديث مما يعين على حفظه العمل به ، فقد كان السلف يقولون : " **إذا أردت أن تحفظ الحديث فاعمل به ، فإن العمل يثبِت العلم** ".

([3]) سورة آل عمران [آية : 08]

وهذا جاء عن وكيع بن الجراح ، وعن إبراهيم بن إسماعيل يقول :" **كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به**" .

قال الشيخ : "**وإذا كان الإنسان يقرأ ولا يعمل فإنه يضيع منه العلم**"

وهذا فيه تنبيه إلى الحاجة إلى مذاكرة العلم ، وإلى تطبيقه – بارك الله فيكم –

- **ومن الفوائد** :

أن طالب العلم والمسلم يجعل تعاليم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وسنته وتصرفاته كأنها نصب عينيه ؛ يطبقها ، ويعمل بها ، ويدعو إليها ، فإذا طبقها وعمل بها ودعا إليها ؛ كان من أهلها .

-**ومن الفوائد** :

أن تعلم يا عبد الله أنك مأمور بتبليغ العلم الذي يأتيك وتناله ؛ تبلغه كثيرًا كان أو قليلا ، وإياك والكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ؛ لقوله – صلى الله عليه وسلم – (**بَلِّغُوا عَنِي وَلَوْ آيَة**) (4) ؛ فهذا فيه دليلٌ على تبليغ العلم ولو قلّ ؛ ولكن أن تبلِّغ العلم الصحيح ، ولذلك حذَّر شيخنا – حفظه الله تعالى – من الكذب على رسول الله –

([4]) رواه البخاري.

صلى الله عليه وسلم – ؛ لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : (**مَنْ قَالَ عَلَيَ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَارِ**) .

ونبَّه شيخنا – حفظه الله تعالى – أن بعض الناس قد تدفعهم العواطف العمياء والجهل إلى الكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأن يقول : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كذا وكذا... فينقل حديثا مكذوبا ، فإمّا أن يكون هذا هو الذي اخترع ذاك الحديث ، كما يقع من المتصوفة الجهّال ، وإما أن ينقل حديثًا اخترعه غيره فيصدق عليهم قول النبي – صلى الله عليه وسلم - : (**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ**)[5] أو " **الكاذِبَيْن** " روايتان ؛ يعني - وهذه فائدة دقيقة - أن الواحد منا لو نقل حديثًا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو لا يعلم هل هو صحيحٌ أم كذب فيكون كذبًا ؛ فيكون هذا الناقل من الكذّابين ، من المشاركين للإثم لهؤلاء الكذَّابين .

قال شيخنا : " **فناقل الكذب كاذب ، فإذا رويت حديثا كذِباً على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنت أحد الكذَّابين أو الكاذِبَيْن ، فاحرص على تبليغ ما يبلغك من العلم على الوجه الصحيح ، وبالأمانة العظيمة التي عرضها الله - تبارك وتعالى - على السماوات والأرض فأبَيْن أن يحملنها وأشفقن منها وحملها**

([5]) أخرجه مسلم في المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات برقم 1 .

الإنسان إنّه كان ظلوما جهولا " ؛ فهذه فائدة دقيقة بعض الناس يحب يتكلم ، يحب يظهر ما عنده ، يحب يتصدَّر ؛ لكن دون تثبت ، ودون أن يعلم .

- هل هذا الذي يبثه ويبلغه للناس علم صحيح أم لا ؟

فإن كان يعلم أنه علم صحيح ومما تلقاه من العلماء وبيّنوا صحته ؛ فليبلغه للناس ؛ لأنك مأمور بذلك ، وإن كان لا يعلم ؛ لا من باب الوسوسة ولكن من باب أنه فعلا لا يعلم ؛ فإنه يجب عليه أن يصمت ، وأن لا يتكلم في دين الله إلا بعلم وحلم .

- ومن الفوائد :

وهو متعلق أيضا بما سبق ، أن النصوص كثيرة في وعيد من يكتم العلم ولا يبلغه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّـهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ 6) (، فيكتم هذا العلم ؛ فهذا يستحق اللعن ويستحق الوعيد الشديد .

قال – صلى الله عليه وسلم – (**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَه أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَار**) (7) وكان بعض العلماء إذا سُئلوا تكلموا ثم

([6]) سورة البقرة [الآية : 159]

([7]) رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن .

يذكرون هذا الحديث يقولون : " **والله لا نحب أن نتكلم ؛ ولكن لولا خشية أن نكون من أهل هذا الحديث لما تكلمنا** " .

فهذا أيضا فيه فائدة ؛ أن بعض الناس عنده علم صحيح ويعلم أنه صحيح وعنده معرفة بالأحكام ولكن لا يتكلم ، فيكتم العلم ؛ فهذا إن لم يكن هناك سبب شرعي يمنعه من تبليغ العلم كخوف الضرر ؛ فإنه يُخشى عليه أن يكون من أصحاب هذا الوعيد الشديد .

- **ومن الفوائد** :

أننا أُمِرنا بتبليغ العلم وبالدعوة إلى الله – عز وجل – ؛ ولكن بالأسلوب الطيب وبالأسلوب المقنع ، وبالحجة الواضحة ، وبالحكمة ، واللطف ، واللين ، والرفق كما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصحابته الكرام يبلغون العلم مقرونًا بهذه الأخلاق العالية والصفات النبيلة ؛ اللين والرفق ، قال– صلى الله عليه وسلم – (**إِنَ اللّه رَفِيقٌ يُحِبُ الرِفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِه**)(8) وقال – صلى الله عليه وسلم – (**مَا كَانَ الرِفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَا زَانَه وَمَا نُزِعَ الرِفْقُ مِن شَيْءٍ إِلَا شَانَه**) 9) (.

فنحن مأمورون أن نتعلَّم فعلينا أن نتعلَّم ، وأن نعمل ، وأن ندعوَ إلى الله - تبارك وتعالى - بالطرق التي رسمها الله لنا وبيّنها رسول الله -

---

([8]) أخرجه البخاري .
([9]) صحيح الجامع [5654]

صلى الله عليه وسلم - لنا وطبّقها ، وطبّقها صحابته الكرام من بعده - رضوان الله عليهم - .

هذه الأخلاق ظهرت للنّاس ؛ يعنى العلم ، والعمل ، والدعوة ، وطيب الأخلاق ، والرفق ، واللين فجعلت الشعوب تُقبِل بقلوبها وأسماعها وأبصارها على هذا الهدى وهذا النور الذي كان يحمله أصحاب محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - .

ثم بيّن شيخنا - حفظه الله تعالى - أن من الفوائد مما ذكره أيضًا ؛ أن منهج الجامعة الإسلامية منهجٌ عظيمٌ وضعه أئمةٌ أعلام أنشئوها لإعادة مجد الأمّة الإسلامية على ما كان في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه على الكتاب وعلى السنّة وعلى منهج السلف الصالح ، بعد أن رأوا أن العالم الإسلامي في وضع مؤلم جدًا ؛ من الجهل ، وانتشار البدع والخرافات ، وضياع التوحيد ومكانة التوحيد إلا من سلَّمه الله - تبارك وتعالى - ، ولا يفوتني أن أذكر أيضًا أن هذا من أوائل اهتمامات الدولة السعودية ، فإن الدولة السعودية - حرسها الله من كل سوء - اهتمت وولاة أمرنا اهتموا بنشر التوحيد ، وبنشر الدين الصحيح في الداخل وفي الخارج .

فكانت هذه الجامعة الإسلامية منارًا لاستقدام وقدوم طلاب العلم من مختلف البلاد الإسلامية ؛ ليربُّوهم على العلم الصحيح ، ثم يرجعوا إلى قومهم معلِّمين وناشرين للسنّة ومنهج السلف الصالح ، ومعلِّمين لهم الكتاب والسنّة فيكونون خيرًا لهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

يَحْذَرُونَ ﴾(10) ، ولذلك ذمَّ الشيخ - حفظه الله تعالى – فقال : "

بعض الناس يتعلَّم ويجلس هنا ، ما يأخذ بقول الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾" .

فذمَّ الشيخ - حفظه الله تعالى- من تعلَّم ولم يرجع إلى قومهم ليعلِّمهم ، كما كان الصحابة يقدِمون على النبي - صلى الله عليه وسلم- يتعلَّمون ثم يرجعون إلى قومهم يعلِّمونهم ما أمر الله - عز وجل - به ، وأيضًا مما يُذمُّ به بعض طلاب العلم ؛ ممن تعلَّم العلم ورجع إلى قومه ولم ينشر العلم ، ولم يعلِّمهم ، فمنهج الجامعة الإسلامية ؛ منهج سلفي في موادها ، ودروسها ، ومقرراتها ؛ هذا الذي أثنى عليه شيخنا - حفظه الله تعالى- ؛ مما يدل على أن على طالب العلم أن يهتم بالعلم والتعلُّم والعمل والدعوة والصبر .

- ثم من الفوائد :

ذكر شيخنا - حفظه الله تعالى – أيضًا أن الأخلاق لها آثارٌ عميقة ، وقد حثّ الله – عز وجل - عليها ، وحثّ رسولنا – صلى الله عليه وسلم – عليها ، وكان – صلى الله عليه وسلم – يتعامل مع الناس بهذه الأخلاق ؛ مع أهله في بيته ، مع أصحابه ، مع خصومه ، حتى إنّ يهوديا سلَّم

([10]) سورة التوبة [الآية : 122]

على رسول الله فقال : " **السّام عليك** " ، فقال - صلى الله عليه وسلم - (**وعليكم**) ، فقالت عائشة : (**وعليكم السّام واللعنة**) ، فقال – صلى الله عليه وسلم - : (**لا يا عائشةُ إن اللّه رفيقٌ يحب الرِفق**) فقال شيخنا – حفظه الله تعالى - : " **انظر يهوديٌ ترفّق به ، إذا وجد منك هذا الرِفق دفعه للإسلام ، أو على الأقل يدفع اللّه بهذه الأخلاق العالية شرًّا كثيراً من شرِّ هذا ، ويكون ذلك في صالحك وفي صالح الدعوة إلى اللّه – تبارك وتعالى –** ".

وهذا آخر الفوائد من هذه الرسالة ونكون – بفضل الله عز وجل – قد انتهينا من فوائد هذه الرسالة .

أسأل الله – عز وجل – أن ينفعنا بما سمعنا ، وأن يرزقنا العلم النافع ، والعمل الصالح ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل .

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين .